

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[156] الحق والتصديق به ، على عكس ساكني مراكز المدن الذين يعيشون حياة مرفهة تجعل من الصعب قبولهم لدعوة الحق . التعبير بـ "يا قوم" يوضّح حرقه هذا الرجل وتألّمه على أهل مدينته ، ودعوته إيّاهم إلى اتّباع الرسل ، تلك الدعوة التي لم تكن لتحقيق له أي نفع شخصي . والآن لننظر إلى هذا الرجل المجاهد ، بأي منطق وبأي دليل خاطب أهل مدينته؟ فقد أشار أوّلاً إلى هذه القضية (اتّبعوا من لا يسألكم أجراً) . فتلك القضية بحدّ ذاتها الدليل الأوّل على صدق هؤلاء الرسل ، فهم لا يكسبون من دعوتهم تلك أيّة منفعة ماديّة شخصية ، ولا يريدون منكم مالا ولا جاهاً ولا مقاماً ، وحتّى أنّهم لا يريدون منكم أن تشكروهم . والخلاصة : لا يريدون منكم أجراً ولا أي شيء آخر . وهذا ما أكّدت عليه الآيات القرآنية مراراً فيما يخصّ الأنبياء العظام ، كدليل على إخلاصهم وصفاء قلوبهم ، وفي سورة الشعراء وحدها تكرّرت هذه الجملة خمس مرّات (وما أسألكم عليه من أجر) (1) . ثمّ يضيف : إنّ هؤلاء الرسل كما يظهر من محتوى دعوتهم وكلامهم أنّهم أشخاص مهتدون : (وهم مهتدون) إشارة إلى أنّ عدم الإستجابة لدعوة ما إنّما يكون لأحد سببين : إمّا لأنّ تلك الدعوة باطلة وتؤدّي إلى الضلال والضياع ، أو لأنّها حقّ ولكن الدعاة لها يكتسبون من تلك الدعوة منافع شخصية لهم ممّا يؤدّي إلى تشويه النظرة إلى تلك الدعوة ، ولكن حينما لا يكون هذا ولا ذاك فما معنى التردّد والتباطؤ عن الإستجابة . ثمّ ينتقل إلى ذكر دليل آخر على التوحيد الذي يعتبر عماد دعوة هؤلاء الرسل ، فيقول : (وما لي لا أعبد الذي فطرني) . فإنّ من هو أهل لأن يعبد هو الخالق والمالك والوهاب ، وليس الأصنام التي لا

_____ 1

– الآيات : 109 – 127 – 145 – 164 – 180 .